غديرُ خُمٍّ وأسماؤهُ دراسةٌ دلاليَّة

م.د. حيدر عبد الرسول عوض

جامعة بابل/ كلية الآداب

م. د. علي طرخان خرباط

جامعة بابل/ كلية الآداب

Ghadir Khumm and His Names: A Semantic Study

Lect. Dr. Hayder Abdul Rasool Awadh

University of Babylon/Faculty of Arts

Lect. Dr. Ail Tarkhan Kharbat

University of Babylon/Faculty of Arts

ملخص البحث

عرض البحث أسماء مكان غدير خم وهي (الجحفة، والمهيعة، والغيضة، والخرار، والغربة) ودلالاتها وبيان صلة هذه الدلالات مع الحادثة التي وقعت فيها، ألا وهي حادثة الغدير التي نصب بها رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله تعالى الإِمَام عَلي بن أبِي طَالبٍ عليه السلام إماما للمسلمين، فعقدنا مقارنة بين دلالات الألفاظ المذكورة آنفا ومدى ارتباطها بالإمام عليه السلام، فتبين صلتها به، فغدير خم وأسماؤه تدور دلالتها في معنى واحد هو الماء، وأن هذا الماء أصابه سيل، وغِيضَ، وغُدِرَ به، وهذه الدلالة تتوافق مع ما كُنّي به الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم بأنه الماء، وهذا الماء أيضا غُدِر به ونُكِثَت بَيْعته، ثم بَيَّنا سبب تكنية الإمام بهذه الكنية أي: (الماء)، وأنهما يتوافقان بأمور أربع هي: أولية الخلق، والحاجة، وثبات الحقيقة، والتطهير.

الكَلماتُ المفتاحيَّةُ: الإِمَام عَلي عَليه السَّلامُ، الجحفة، الخرار، الغدير، غدير خُمّ، الغربة، الغيضة.

Abstract

The research presented the names of the place of Ghadir Khum, which are (Al-Juhfa, Al-Muhai'a, Al-Ghaydah, Al-Kharar, and Al-Ghuraba) and their connotations, and a statement of the connection of these indications with the incident in which they occurred, namely the Ghadir incident in which the Messenger of God appointed Imam Ali bin Abi Talib, peace be upon him, by the command of God Almighty For Muslims, we made a comparison between the connotations of the aforementioned words and the extent to which they are related to the Imam, peace be upon him, and their connection to him was clarified. Ghadeer Khum and his names revolve around one meaning, which is water. In the Holy Qur'an, peace be upon him, that he is water, and this water is also betrayed by him and his pledge of allegiance has been broken. Then we explained the reason for the imam's nickname, i.e.: (Water), and that they are compatible with four things: the priority of creation, the need, the constancy of the truth, and purification.

Key words: Imam Ali (peace be upon him) Al-Jahfa, Al-Kharrar, Al-Ghadeer, Ghadeer Khum, Al-Ghareeba, Al-Ghaydah.

توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم ربَّنا لك الحمدُ كما رضيتَ به لنفسك، وقضيتَ به على عبادك، والصلاة والسلام على محمد وآله أشرف خلقك، وبعد:

فإنَّ شخصيات الأحداث المهمة والمصيرية في حياة الأمم وزمانها ومكانها لا تختار اعتباطًا، بل تعد سلفا ويهيأ لها ايذانًا بوقوعها، ويكون اسم مكانها دلالة على أحداثها، من ذلك على سبيل المثال اسم كربلاء، فهي من كرب وبلاء، إشارة إلى ما يجري فيها من أحداث، وقد سُمِّيت بهذا الاسم قبل معركة الطف؛ إذ قالتْ أم سلمة رَضِي اللهُ عنْها أنَّها قالتْ: «كانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالسًا ذات يومٍ في بيتي، فقالَ: لا يدخل عليَّ أحدٌ، فانتظرتُ فدخلَ الحسينُ رضيَ اللهُ عنه،...، فقلتُ: والله، ما علمتُ حيْنَ دخلَ، فقالَ: إنَّ جبريلَ عليه السلامُ كانَ مَعنا في البيتِ فقالَ تحبُّهُ؟ قلتُ: أما من الدُّنيا فنعمْ، قالَ إنَّ أمَّتكَ سَتقتلُ هَذا بأرضٍ يقالُ لهَا: كَربلاء، فتناولَ جبريلُ عليهِ السلامُ مِن تُربتِهَا فَأراها النبيّ صلى الله عليه وسلم فَلمَّا أحيط بحسين (عليه السلام) قال: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: كربلاء، قال: صدق الله ورسوله أرض كرب وبلاء»[1] وكان ذلك والإمام الحسين عليه السلام صبيا، فسميت بهذا الاسم قبل ولادته.

ومن هذه الأحداث حادثة غدير خُمّ وتنصيب الإمَام عليٍّ عَليهِ السَّلامُ إمامًا للمُسْلمينَ بأمر الله سبحانه، والسؤال الذي يحاول البحث الإجابة عنه هو: هل يوجد علاقة بين غدير خُمّ وما أطلق عليه من أسماء والحادثة التي جرت فيه، كما هو في حادثة كربلاء؟.

وللإجَابةِ عنْ هَذا السُّؤالِ لا بد من اسْتقراء الأسماء التِي سُمّيَ بها هذا المكان ومعرفة دلالتها أولا، ثم بيان صلة هذه الدلالة مع الحادثة التي

جرت فيها ألا وهي تنصيب الإِمَام عَلِيٍّ عَليهِ السَّلامُ إمامًا للمسلمين.

فبدأنا ببيان دلالات أسماء مكان غدير خُمّ، والعلاقة بين هذه الدلالات والإِمَام عَلِي عليهِ السَّلامُ، ثم عللنا سبب تلقيب الإِمَام عَلِي عليهِ السلامُ بالماء، ختاما بِأهمِّ النَّتائجِ التي تَوصَّل إليها البحث، مذيَّلا ذلك بقَائِمةٍ للمصادرِ والمَراجِعِ.

أسماء مَكان غدير خُمٍّ ودلالتها

سُمي غدير خُمٍّ بأسماء عدة هي[٢]:

غَدير خُمٍّ: يعد من أشهر أسماء هذا المكان، ودلالته أكثر التصاقا بالحادثة التي وقعت فيه، وقد ذكرته عشرات المصادر منها: الطبراني(ت: ٣٦٠هـ) ما رواه «عنْ زيد بن أرقم قال: لما رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من حّجَّةِ الوداعِ ونزلَ غديرَ خُمٍّ، أمرَ بدوحات فقممن ثم قام فقال كأنِّي قد دُعيت فأجبت إنّي تاركٌ فيكم الثقلينِ: أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض، ثم قالَ: إنَّ الله مولايَ وأنا ولي كل مؤمن، ثم أخذ بيد عليٍّ فقال: من كنتُ مولاهُ فهذَا مولاهُ اللهمَّ والِ من والاهُ وعادِ من عاداه»[٣].

والغدير: «القطعة من الماء يغادرها السَّيلُ. وهو فعيل بمعنى مُفاعَل، من غادره، أو مُفعَل. من أغدره. ويقال: هو فعيل بمعنى فاعل، لأنه يغدرُ بأهله، أي: ينقطع عند شدَّة الحاجةِ إليه»[٤]، وهو من (غدرَ): «أصلٌ صحيح يدل على تركِ الشيء...والغدير مستنقع ماء المطرِ وَسُمِّي بذلك؛ لأنَّ السيل غادره، أي: تركه»[٥]، أو هو «تَخلُّفُ مائع أو رخو عن المصدر أو الأصل»[٦].

فهذا الاسم يدل على أنَّه ماء غادره السيل، وهذا هو الراجح، لأنَّ الماء لم يغدر بنفسه بل السيل الذي قطعه فظُنَّ أنه غادر، والحقيقة أن الغدر

للسيل لا له، فهو لم يغدر بأهله.

وخمٌّ- ضُبِطَ بضم الخاء وَبِفَتْحها[٧]-: مأخوذ من «فلان مخموم القلب، أي: نقيّه، فكأنَّها سُمِّيت بذلك لنقائها»[٨].

الجُحْفَة، ورد هذا الاسم في حديث «عائشة بنت سعد، عن أبيها قال: سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ يوم الجحفة وأخذ بيد علي، فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال: أيها الناس إنِّي وليُّكم؟. قالوا: صدقت يا رسول الله، وأخذ بيد علي رضي الله عنه فرفعها فقال: هذا وليّي، والمؤدِّي عنِّي»[٩]، وفي حديث آخر: «عن جابر بن عبد الله قال: كُنَّا بالجُحفة بغدير خُمّ، إذا خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بيد علي فقال: (من كنتُ مولاهُ فعليّ مولاهُ) »[١٠].

وهو من باب تسمية الجزء باسم الكلِّ، لأنَّ خُمًّا جزءٌ من وادي الجُحفة الكبير[١١]، وورد عن الصادق عليه السلام: «ووَقَّتَ لأَهْلِ الْمَغْرِبِ الْجُحْفَةَ وهِيَ مَهْيَعَةُ»[١٢] وفي رواية «ووَقَّتَ لأَهْلِ الْمَغْرِبِ الْجُحْفَةَ وهِيَ عِنْدَنَا مَكْتُوبَةٌ مَهْيَعَةُ»[١٣].

وهو من (جحف): «أصل واحد قياسه الذهاب بالشيء مستوعبا،...وسميت الجحفة؛ لأن السيل جحف أهلها، أي: حملهم»[١٤]، وقال الجوهري (ت: ٣٩٣هـ): «موضع بين مكة والمدينة، وهي ميقات أهل الشأم، وكان اسمها مهيعة فأجحف السيل بأهلها، فَسُمِّيتْ جُحفة»[١٥].

المَهْيَعة: «اسم الجحفة، وهي ميقاتُ أهل الشَّام، وبها غدير خُمّ، وهي شديدة الوخم...وفي حديث علي: (اتقوا البدع والزموا المهيع) هو الطريق الواسع المنبسط. والميم زائدة، وهو مَفعل من التهيُّع: الانبساط»[١٦]. وهذا الاسم مرتبط بما قبله، ولعلَّه من الهيعة، وهو «سيلان الشيء المصبوب على وجه الأرض»[١٧].

وهذا الاسم والذي قبله لا يبتعد عن المعنى الأول من أنه ماء أصابه سيل.

الغَيْضَةُ: قال عنها أبو إسحاق

الحربي(ت: ٤٣٨هـ): «وهي غدير خُمّ، وهو غدير ماء، حوله شجر كثير ملتَفّ»[١٨] وقال عنها البكري(ت: ٤٨٧هـ): «وهذا الغدير تصب فيه عين، وحوله شجر كثير ملتفٌّ، وهي الغيضة التي تسمى خُمّ[١٩]»[٢٠]، وقِيل: «إن خُمًّا اسم غيضة هُناك، وبهَا غدير نُسب إليها»[٢١]. ولغويا هي «المكان الذي يقف فيه الماء فيبتلعه»[٢٢]، أو «الأجمة، وهي مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر»[٢٣]. ولا يختلف عن المعنى الأول أيضا من أنه ماء مجموع ثم غيض.

الخَرَّار: ورد ذكره بأنه «موضع غدير خمٍّ يقال له: الخَرَّار»[٢٤]، وقال المسعودي(ت: ٣٤٦هـ) عنه في ذيل حديث الغدير الذي ذكره: «وغدير خُمٍّ يقرب من الماء المعروف بالخَرَّار بناحية الجُحفة»[٢٥]، وقال السيوطي (ت: ٩١١هـ): «موضع قُرب الجُحفة»[٢٦]. وهو من «الخَرَّارَةُ: عَيْنُ الماءِ الجارِيَةُ، سُميت خَرَّارَةً لِخَرِيرِ مائها، وهو صوته»[٢٧].

وهذا المعنى متصل بالماء أيضًا.

الغرَبَة: «وهي غدير خُمّ»[٢٨]، ويعرف اليوم بهذا الاسم[٢٩]. ولعلها من الغَرَبُ، وهو «الماءُ الذي يسيل من الدَّلْو»[٣٠]، وهو متصل بالماء أيضًا.

العلاقة بين دلالة غدير خُمٍّ وأسمائه والإمام علي عليه السلام

تبيَّن مما تقدم أنّ غدير خُمّ وأسماءه تتصل بالدلالة على الماء، وأن هذا الماء أصابه سيل، ثم غيض، لكن ما العلاقة بين حادثة الغدير- التي نُصب فيها الإمام علي إمامًا للمسلمين- ودلالة أسماء المكان الذي حدثت فيه؟.

خير ما يبحث فيه للإجابة عن هذا السؤال هو القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السَّلامُ.

إن مفردات القرآن الكريم وجمله وعبائره كلها جاءت بقصد، ولا محل للاعتباط فيها، فهو كلام الله

سبحانه الذي خلق كل شيء بقدر، وهذه القصدية في التعبير لا تعني أن لكل لفظ وجملة وعبارة معنى محددا، فتحديد الدلالة وانغلاقها لا يتلاءم ووصف الإمام علي عليه السَّلام للقرآن الكريم بأنه: «ظَاهِرُه أَنِيقٌ، وبَاطِنُه عَمِيقٌ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُه، ولَا تَنْقَضِي غَرَائِبُه»[٣١]، ولا يوجد تضارب بين القصدية وانفتاح الدلالة: «لأنَّ الله لم ينزله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فهو في كل زمان جديد، وعند كُل قوم غضٌّ إلى يوم القيامة»[٣٢]، فتعدد الوجوه الدلالية أيضًا مقصود منه سبحانه، وإلَّا لما كان يصلح لكل زمان ومكان.

وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى ذلك بقوله: «إِنَّ الْقُرْآنَ لَه ظَهْرٌ وبَطْنٌ»[٣٣]، فظاهره مقصود وباطنه أيضًا كذلك، ومنها يأتي انفتاح الدلالة وعدم انحسارها في وجه محدد.

وقد وردت مجموعة من الأحاديث عن النبي وآله عليهم السلام تُبين أن (الماء) في أكثر من آية من القرآن هو الإمام علي عليه السلام، وبعضها أوَّلت (الماء) بالإمام مطلقًا، وبعضهم حصرته بالإمام المهدي عجل الله فرجه، فمن المجموعة الأولى:

عن جابر عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السَّلام قال: سألته عن هذه الآية: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾[٣٤] قال: «السماء: في الباطن رسول الله، والماء: علي عليه السلام، جعل الله عليًّا من رسول الله صلى الله عليه وآله فذلك قوله: (لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) فذلك عليٌّ يطهر الله به قلب من والاه، وأما قوله: (وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ) من والى عليًّا يذهب الرجز عنه، ويقوي قلبه»[٣٥].

قال أبو جعفر الباقر عليه السَّلام: «وقوله: ﴿مَاءٍ غَيْرِ آَسِنٍ﴾[٣٦]

فهو علي عليه السلام في الباطن»[٣٧].

قول النبي صلى الله عليه وآله: «إن الله عز وجل خلق ماءً تحت العرش قبل أن يخلق آدم بثلاثة آلاف عام، وأسكنه في لؤلؤة خضراء في غامض علمه إلى أن خلق آدم، فلمَّا أن خلق آدم نقل ذلك الماء من اللؤلؤة فأجراه في صلب آدم إلى أن قبضه الله، ثم نقله إلى صلب شيث، فلم يزل ذلك الماء ينتقل من ظهر إلى ظهر حتى صار في صلب عبد المطلب، ثم شقَّه الله عز وجل بنصفين، فصار نصفه في أبي عبد الله بن عبد المطلب، ونصف في أبي طالب، فأنا من نصف الماء، وعلي من النصف الآخر، فعلي أخي في الدنيا والآخرة، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾[٣٨] »[٣٩].

ومن المجموعة الثانية التي فسرت الماء بالإمام مطلقًا:

قوله صلى الله عليه وآله: «... أمَّا فضلي على النبيين، فما من نبيٍّ إلا دعا على قومه، وأنا أخَّرتُ دعوتي؛ شفاعةً لأُمَّتي يوم القيامة، وأمَّا فضل عشيرتي وأهل بيتي وذُرِّيتي كفضل الماء على كلِّ شيء، وبالماء يبقى كلُّ شيء، ويحيا، كما قال ربي تبارك وتعالى: ﴿وجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾[٤٠]، وبمحبة أهل بيتي وعشيرتي وذُرِّيتي يستكمل الدين»[٤١].

عن فضالة بن أيوب قال: سُئل الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[٤٢]، فقال عليه السلام: « (ماؤكم): أبوابكم- أي: الأئمة عليهم السلام- والأئمة أبواب الله بينه وبين خلقه، (فمن يأتيكم بماء معين) يعني: بعلم الإمام»[٤٣].

قال الإمام الرضا عليه السلام في حديث طويل وصف الإمام: «الإِمَامُ: الْمَاءُ الْعَذْبُ عَلَى الظَّمَأِ...

والْغَدِيرُ والرَّوْضَةُ...الإِمَامُ الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ»[٤٤].

وفي الحديث الأخير تصريح بأن الإمام هو الماء والغدير.

ومن المجموع الثالثة التي فسرت الماء بالإمام المهدي عجل الله فرجه:

عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَخِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللهَّ عَزَّ وجَلَّ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [٤٥] قَالَ: «إِذَا غَابَ عَنْكُمْ إِمَامُكُمْ فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِإِمَامٍ جَدِيدٍ»[٤٦]، وفي آخر: «إذا فقدتم إمامكم فمن يأتيكم بإمام جديد»[٤٧]، وفي آخر: «إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون؟»[٤٨].

فتبيَّن من ما تقدَّم أنَّ المقصود بالماء في بعض آيات القرآن الكريم هو الإمام علي أو الإمام مطلقًا أو الإمام المهدي عليه السلام، ولا ضيرَ في ذلك، فإنَّهم نور واحد، قال الإمام علي عليه السلام: «كلُّنا واحد، أوَّلنا محمَّد، وآخرنا محمَّد، وأوسطنا محمَّد، وكلُّنا محمَّد»[٤٩].

وهذه الدلالة تتوافق مع دلالة الغدير. لكن الغدير وأسماءه ماء أصابه سيل، وغيض، وغدر به، وهذه الدلالة أيضًا حصلت للإمام علي عليه السلام، فبعد أن بايعه الصحابة وقال له قائلهم: «بخٍّ بخٍّ يا بن أبي طالب، أصبحتَ مولاي ومولى كلِّ مسلم»[٥٠] وفي رواية: «هنيئًا لك يا علي، أصبحتَ مولاي ومولى كلِّ مؤمن»[٥١]، غدروا به ما إن التحق الرسول صلى الله عليه وآله بربِّه ونكثوا بيعتهم، وحادثة السقيفة مشهورة في ذلك.

إن ربط دلالة غدير خم وأسمائه مع بعض ما لقب به الإمام علي عليه السلام وحاله، من أنَّهما ماء وأن كليهما غُدر به، أمر يؤيده السياق بنوعيه، أما اللغوي ومنه المعجمي فقد اتضحت دلالتها بما لا شك فيه.

وأما سياق الموقف فإن النبي صلى الله عليه وآله قد نصب الإمام عليًّا (الماء)، في غدير خم، الذي عُلمت دلالته آنفا.

سبب تلقيب الإمام عليه السلام بـ(الماء)

عبَّر القرآن الكريم في بعض آياته عن الإمام علي عليه السلام بالماء، وأنه- وفقا للحديث المذكور آنفا- له ظاهر وباطن، وبينهما صلة وعلاقة، تكتشف بالتأمل وبوساطة القرائن المقالية والمقامية، ويمكن بيان العلاقة بين الماء والإمام بأوجه منها:

الأولية في الخلق، وأصل الأشياء، أنَّ الماء أصل الأشياء وخُلق كل شيء منه، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾[٥٢]، وقال أيضا: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[٥٣]، وهو أول ما خلقه الله سبحانه، أجاب الإمام الباقر عليه السلام حين سئل عن أول ما خلقه تعالى: «خَلَقَ الشَّيْءَ الَّذِي جَمِيعُ الأَشْيَاءِ مِنْه، وهُوَ الْمَاءُ الَّذِي خَلَقَ الأَشْيَاءَ مِنْه، فَجَعَلَ نَسَبَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى الْمَاءِ، ولَمْ يَجْعَلْ لِلْمَاءِ نَسَباً يُضَافُ إِلَيْه»[٥٤].

والإمام أيضًا أول ما خلقهُ تعالى فَعن الرسول صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «أول ما خلق الله عز وجل أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتمجيده»[٥٥]، وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى كان ولا شيء، فَخَلَقَ خمسةً من نور جلاله، وجعلَ لكلِّ واحد منهم اسمًا من أسمائه المنزلة، فهو الحميد وسمَّى النبي محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الأعلى وسمَّى أمير المؤمنين عليا، وله الأسماء الحسنى، فاشتقَّ منها حسنًا وحُسينًا، وهو فاطر فاشتقَّ لفاطمة من أسمائه اسمًا»[٥٦].

ويرد هنا إشكال: أن الأولية واحدة فكيف يكون الماء والإمام كلاهما أصل وأوَّل؟ والجواب عنه بأمرين:

أنَّ الماء المراد بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة المذكورة آنفا هو

الإمام نفسه، وعضد هذا الرأي آنفا بالروايات التي فسرت الماء بالإمام.

أن الإمام هو أول ما خلقه الله تعالى؛ وأول ما خلق منه هو الماء، إذ سأل جابر الأنصاري النبي صلى الله عليه وآله عن أول شيء خلقه الله؟ قال: «هو نور نبيّك يا جابر، خَلقهُ ثمَّ خَلَقَ منه كلَّ خير»[٥٧]، فالماء أول بالنسبة لما خلق من هذا النور.

وَرُبَّ سائل يسأل ما ذكر يثبت أولية النبي لا الإمام؟ ويجاب عنه بحديث الإمام علي عليه السلام المذكور آنفا: «كلنا واحد، أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلنا محمد»[٥٨].

الحاجة إليهما، جميع الكائنات تحتاج إلى الماء، إن كان سائلا أو غازا أو صلبا، والإمام كذلك، إذ روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «لو أنَّ الإمام رُفع من الأرض لماجت الأرض بأهلها كما يموج البحر بأهله»[٥٩]، فالخلق يحتاجه بوصفه واسطة الفيض الإلهي، فضلًا عن الالتجاء له لبيان أحكامهم الشرعية وحاجاتهم الدنيوية والأخروية، والمادية والمعنوية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٦٠]، والحياة هنا مطلقة.

ثبات حقيقتهما، إنَّ الماء لا تتغير حقيقته مهما تغير تمثيله، فهو يبقى ماء في كل أحواله: سائلا أو صلبا أو غازا، بخلاف باقي العناصر، فالخشب مثلًا تتغير حقيقته ويتحول إلى عنصر آخر إذا احترق وصار رمادًا.

كذلك الإمام يبقى إمامًا، ظاهرًا كان أو غائبا، مبايعًا للخلافة الظاهرية أو منعزلًا، مطاعًا في قومه أو مُعصى، قال صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[٦١].

التطهير، إن الماء مُطهِّر من النجاسات المادية، قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾[٦٢].

والإمام يطهر من الأدران والنجاسات المعنوية قال الصادق عليه السلام في تفسير الآية المذكورة آنفا: «قوله: (لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) فذلك عليٌّ يطهر الله به قلب من والاه، وأما قوله: (وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ) من والى عليًّا يذهب الرجز عنه، ويقوي قلبه»[٦٣].

وقال سبحانه مخاطبا رسوله الكريم: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[٦٤]، فبوساطة الرسول صلى الله عليه وآله تغفر الذنوب وتقبل التوبة.

وفي حديث عن عَبْد اللَّهَّ بْنِ سِنَانٍ قال: «فَأَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهَّ عليه السلام فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ قَوْلُ اللَّهَّ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾[٦٥] قَالَ: أَخْذُ الشَّارِبِ وقَصُّ الأَظْفَارِ ومَا أَشْبَه ذَلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنَّ ذَرِيحَ الْمُحَارِبِيِّ حَدَّثَنِي عَنْكَ بِأَنَّكَ قُلْتَ لَه: (لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ): لِقَاءُ الإِمَامِ...فَقَالَ: صَدَقَ ذَرِيحٌ وصَدَقْتَ، إِنَّ لِلْقُرْآنِ ظَاهِراً وبَاطِناً ومَنْ يَحْتَمِلُ مَا يَحْتَمِلُ ذَرِيحٌ»[٦٦] فلقاء الإمام عليه السلام مُطهر من الأدران والنجاسات المعنوية.

وبهذا يتبين سبب كناية القرآن الكريم عن الإمام بالماء، إذ إن الصلة وثيقة بين دلالتيهما كما تبين آنفًا.

الخلاصة

درسنا أسماء مكان غدير خم وهي (الجحفة، والمهيعة، والغيضة، والخرار، والغربة) وبينا دلالاتها وصلة هذه الدلالات مع الحادثة التي وقعت فيها، ألا وهي حادثة تنصيب الإمام علي عليه السلام إماما للمسلمين من قِبل رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله تعالى، بعقد مقارنة بين الدلالات المذكورة آنفا ومدى ارتباطها بالإمام عليه السلام، فتوصل إلى أن غدير خم وأسماءه تندرج دلالاتها تحت حقل دلالي واحد هو الماء، والصلة الرابطة بين هذه الأسماء أنها تدل على ماء أصابه سيل، وغيض، وغدر به.

وهذه الدلالة تتوافق مع ما لُقِّب به الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم بأنَّه الماء، وهذا الماء أيضا غدر به ونُكِثَت بَيْعته، ثم بَيَّنا سبب تلقيب الإمام بـ(الماء)، فتبين أنهما يتوافقان بأمور أربعة هي: أولية الخلق وأصل الأشياء، والحاجة إليهما، وثبات حقيقتهما، والتطهير.

وبينا أن السياق بنوعيه يؤيد ما توصل إليه البحث من هذه المشابهة، فالسياق اللغوي المتمثل بالمعجمي ظاهر لا شك فيه، وسياق الموقف أن النبي صلى الله عليه وآله اختار الماء (غدير خم) لينصب الماء الإمام عليًّا عليه السلام إمامًا.

الهوامش:

١- المعجم الكبير للطبراني: ٣/ ١٠٩ح٢٨١٩، ٢٣/ ٢٨٩، مجمع الزوائد: ٩/ ١٨٩.

٢- ينظر: غدير خم دراسة تاريخية: ١٩- ٢٣.

٣- المعجم الكبير: ٥/ ١٦٦ح٤٩٦٩، ورواه النسائي في فضائل الصحابة: ١٥، وفي السنن الكبرى: ٥/ ٤٥ح٨١٤٨ وبطرق عدة، وابن عبد البر في الاستيعاب: ٣/ ١٠٩٩، وغيرها كثير.

٤- الصحاح: ٢/ ٧٦٦(غدر).

٥- مقاييس اللغة: ٤/ ٤١٣(غدر)

٦- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: ٣/ ١٥٦٠(غدر).

٧- ينظر: لسان العرب: ١٢/ ١٩١(خمم).

٨- معجم البلدان: ٢/ ٣٨٩، وينظر: لسان العرب: ١٢/ ١٩٠(خمم).

٩- السنة لابن أبي عاصم: ٥٥١ح ١١٨٩، السنن الكبرى للنسائي: ٥/ ١٠٧ح٨٣٩٧، البداية والنهاية: ٥/ ٢٣١.

١٠- المصنف لابن أبي شيبة: ٧/ ٤٩٥ح٩، السيرة النبوية لابن كثير: ٤/ ٤٢٤.

١١- ينظر: غدير خم دراسة تاريخية: ٢٢.

١٢- الكافي: ٤/ ٣١٨ح١.

١٣- الكافي: ٤/ ٣١٩ح٣.

١٤- مقاييس اللغة: ١/ ٤٢٧- ٤٢٨(جحف).

١٥- الصحاح: ٤/ ١٣٣٥(جحف).

١٦- النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٣٧٧.

١٧- الصحاح: ٣/ ١٣٠٩(هيع).

١٨- المسالك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة: ٤٥٨.

١٩- كذا في الأصل.

٢٠- معجم ما استعجم: ٢/ ٣٦٨.

٢١- معجم البلدان: ٢/ ٣٨٩.

٢٢- مفردات ألفاظ القرآن: ٦١٩.

٢٣- الصحاح: ٣/ ١٠٩٧(غيض).

٢٤- معجم ما استعجم: ٢/ ٤٩٢.
٢٥- التنبيه والإشراف: ٢٢١.
٢٦- تنوير الحوالك: ٦٧٦.
٢٧- لسان العرب: ٤/ ٢٣٤(خرر).
٢٨- معجم معالم الحجاز: ١٢٥٤.
٢٩- ينظر: المصدر نفسه: ١٢٤٤.
٣٠- لسان العرب: ١/ ٦٤٣(غرب).
٣١- نهج البلاغة: ٦١.
٣٢- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٩٣.
٣٣- الكافي: ١/ ٣٧٤.
٣٤- سورة الأنفال: ١١.
٣٥- تفسير العياشي: ٢/ ٥٠ح٢٥، تفسير فرات الكوفي: ١٥٣ح١٩٠.
٣٦- سورة محمد: ١٥.
٣٧- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: ٢/ ٥٨٦ح١٣.
٣٨- سورة الفرقان: ٥٤.
٣٩- الأمالي للطوسي: ٣١٣ح ٦٣٧.
٤٠- سورة الأنبياء: ٣٠.
٤١- الاختصاص للمفيد: ٣٧.
٤٢- سورة الملك: ٣٠.
٤٣- تفسير القمي: ٢/ ٣٧٩.
٤٤- الكافي: ١/ ٢٠٠ح١، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ١٩٧.
٤٥- سورة الملك: ٣٠.
٤٦- الكافي: ١/ ٣٣٩- ٣٤٠ح١٤، كمال الدين وتمام النعمة ٣٥١ح٤٨.
٤٧- الغيبة للنعماني: ١٨١ح١٧.
٤٨- كمال الدين وتمام النعمة: ٣٦٠ح٣.
٤٩- بحار الأنوار: ٢٦/ ٦.
٥٠- فوائد ابن أخي ميمي الدقاق: ١٥٠، تاريخ بغداد: ٨/ ٢٨٤، تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/ ٢٣٣، تفسير الرازي: ١٢/ ٤٢.
٥١- تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/ ٢٢١.
٥٢- سورة النور: ٤٥.
٥٣- سورة الأنبياء: ٣٠.
٥٤- الكافي: ٨/ ٩٤ح٦٧.
٥٥- كمال الدين وتمام النعمة: ٢٥٥ح٤.
٥٦- تفسير فرات الكوفي: ٥٦ح١٥.
٥٧- تاريخ الخميس في أحوال

أنفس النفيس: ١/ ١٩، بحار الأنوار: ٢٥/ ٢١ح٣٧.

٥٨- بحار الأنوار: ٢٦/ ٦.

٥٩- كمال الدين وتمام النعمة: ٢٠٣ح٩، دلائل الإمامة: ٤٣٥ح٤٠٣.

٦٠- سورة الأنفال: ٢٤.

٦١- روضة الواعظين: ١٥٦، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٦٣.

٦٢- سورة الأنفال: ١١.

٦٣- تفسير العياشي: ٢/ ٥٠ح٢٥، تفسير فرات الكوفي: ١٥٣ح١٩٠.

٦٤- سورة النساء: ٦٤.

٦٥- سورة الحج: ٢٩.

٦٦- الكافي: ٤/ ٥٤٩ ح٤، معاني الأخبار: ٣٤٠ح١٠.

المصادر والمراجع

١- الاختصاص: محمد بن النعمان العكبري المعروف بالمفيد(ت: ٤١٣ هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، والسيد محمود الزرندي، دار المفيد، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م.

٢- الاستيعاب: يوسف بن عبد البر(ت: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م.

٣- الأمالي للطوسي: الشيخ أبو جعفر الطوسي(ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ط١، ١٤١٤هـ.

٤- بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار: الشيخ محمد باقر المجلسي(ت: ١١١١هـ) مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت:٧٤٤هـ)، تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦- تاريخ بغداد: أحمد بن علي الخطيب البغدادي(ت: ٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٧- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس: حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (ت: ٩٦٦هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت.

٨- تأريخ مدينة دمشق: علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر(ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤.

٩- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: السيد شرف الدين الأسترابادي(ت نحو: ٩٦٥هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، أمير، قم، ط١، ١٤٠٧هـ -

١٩٨٦م.
١٠- تفسير الرازي(مفاتيح الغيب): فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣،١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.
١١- تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي(ت: ٣٢٠ هـ)، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، د.ت.
١٢- تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي(ت: ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم:السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة، قم، إيران، ط ٢، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
١٣- تفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم الكوفي(ت:٣٥٢ هـ)، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٤- التنبيه والإشراف: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت: ٣٤٦هـ)، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي - القاهرة، د.ت.
١٥- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٩ - ١٩٦٩هـ.
١٦- دلائل الإمامة: محمد بن جرير الطبري (ت: ق ٤)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، قم، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ط١، ١٤١٣هـ.
١٧- روضة الواعظين: محمد بن الفتال النيسابوري(ت:٥٠٨هـ)، تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الرضي، قم، إيران، د.ت.
١٨- السنة: ابن أبي عاصم(ت: ٢٨٧هـ)، تحقيق:محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، المكتب الإسلامي -

بيروت – لبنان، ١٤١٣ – ١٩٩٣ م.
١٩- السنن الكبرى: أحمد بن شعيب النسائي(ت:٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
٢٠- السيرة النبوية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي(ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة، بيروت، لبنان، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.
٢١- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت:٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٢٢- عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ محمد بن علي الصدوق (ت:٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
٢٣- غدير خم دراسة تاريخية وتحقيق ميداني: د. عبد الهادي الفضلي، ط١، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
٢٤- الغيبة:محمد بن إبراهيم النعماني(ت:٣٨٠هـ)، تحقيق: فارس حسون كريم، مطبعة: مهر، قم، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
٢٥- فضائل الصحابة: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
٢٦- فوائد ابن أخي ميمي الدقاق: أَبُو الحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ البَغْدَادِيُّ المعروف بِابْنِ أَخِي مِيْمِي (ت: ٣٩٠ هـ)، تحقيق: نبيل سعد الدين جرار، ط١، دار أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٢٧- الكافي: الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني(ت: ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مطبعة حيدري، ط٥، ١٣٦٣هـ.ش.
٢٨- كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ

الصدوق(ت: ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٥ - ١٣٦٣ ش.

٢٩- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري (ت:٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٣٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي(ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة المقدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٣١- المسالك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة: أبو إسحاق الحربي(ت: ٤٣٨هـ)، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

٣٢- المصنف: عبد الله بن أبي شيبة الكوفي (ت:٢٣٥هـ)، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩ م.

٣٣- معاني الأخبار: الشيخ محمد بن علي الصدوق(ت:٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.

٣٤- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

٣٥- معجم البلدان: ياقوت الحموي(: ٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ - ١٩٧٩م.

٣٦- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني(ت:٣٦٠هـ)، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، د.ت.

٣٧- معجم ما استعجم: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي(ت: ٤٨٧هـ)، تحقيق وضبط: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٣ هـ-

١٩٨٣ م.
٣٨- معجم معالم الحجاز: د. عاتق بن غيث البلادي، دار مكة، ط٢، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٣٩- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني(ت:٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، مطبعة سليمان زاده، قم، ط٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٤٠- مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا(ت:٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
٤١- مناقب آل أبي طالب: محمد بن علي بن شهر آشوب(ت: ٥٨٨ هـ)، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الحيدرية، النجف، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦ م.
٤٢- النهاية في غريب الحديث: المبارك بن محمد بن الأثير(ت: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
٤٣- نهج البلاغة: وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي(ت: ٤٠٦هـ) من كلام أمير المؤمنين عليه السلام: ضبط نصَّه وابتكر فهارسه: د. صبحي الصالح، ط١، بيروت،١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.